المحاضرة الثانية: نشأة وتطور علم النفس المدرسي

عناصر المحاضرة

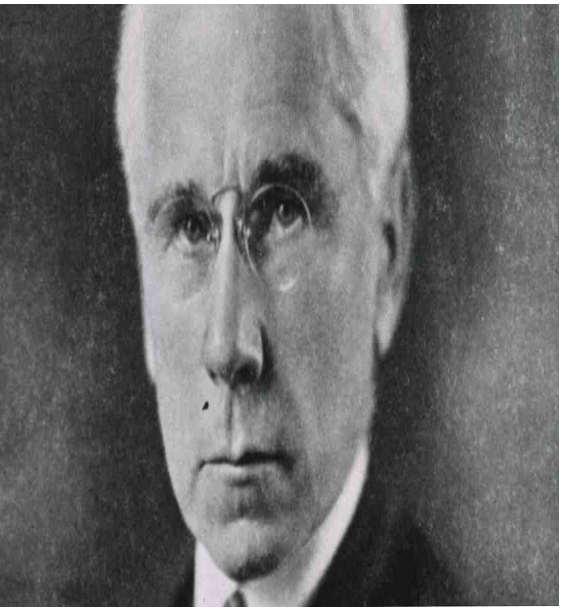

- الإرهاصات الأولى لظهور علم النفس المدرسي
- بداية ظهور علم النفس المدرسي
- علم النفس المدرسي يفرض وجوده
- ظهور الرابطة الأمريكية لعلم النفس المدرسي

ابن سيناء وعلم النفس المدرسي

وقد كان ابن سيناء من الأوائل الذين فصلوا المواضيع المتعلقة بالنفس الإنسانية عن الفلسفة، "فعلم النفس عند ابن سيناء جزء من العلوم الطبيعة (وليس من الفلسفة)، وهو ينقسم إلى قسمين، قسم يمكن أن نسميه علم النفس الميتافيزيقي، وهو يشمل البحث في إثبات وجود النفس وماهيتها، وهل هي مادية أو غير مادية، وعلاقتها بالجسم وخلودها، وغير ذلك من الأبحاث التي تخرج عن دائرة البحث في علم النفس، والقسم الثاني يمكن أن نسميه علم النفس علم النفس الطبيعي، وهو يشمل دراسة القوى النفسية المختلفة، وهذه إما نباتية تتعلق بالتغذية والنمو والتوليد، وتهتم بها أخرى غير علم النفس، وإما حاسة تشمل الحواس المختلفة الظاهرة والباطنة، وإما عاقلة.**(علي، 1990 ، ص 12)**

تشير العديد من الدراسات إلى الاهتمام الكبير بموضوع الإحساس والعمليات العقلية عند **ابن سيناء**، والتي تعتبر من بين المواضيع المهمة التي اهتم بها الفكر السيكولوجي الذي تطور إبان فترة الحضارة الغربية الحديثة خاصة في أوروبا، والتي تمكنت بفضل جهود علمائها من إحداث ثورة في البحث العلمي، والتي أثمرت في بدايات القرن السابع عشر ظهور تخصصات علمية حديثة على غرار علم النفس وعلم الاجتماع وغيرهما، فقد تم دراسة مواضيع الإحساس والعمليات العقلية تحت مسمى الشعور أو الخبرة الشعورية، وقد تميزت هذه الفترة بمحاولات جون لوك في المملكة المتحدة وديكارت في فرنسا، ومن بين العلماء إسهاما في هذا الإطار عالم النفس الآلماني فولهام فونت Wundt الذي يُنسب إليه الفضل في إنشاء أو معمل لعلم النفس التجريبي في جامعة لايبزيتش بألمانيا عام 1879 ، حيث كان يحاول تحليل الخبرة الشعورية إلى عناصرها الحسية الأساسية وكان منهجه هو المنهج الاستبطاني التجريبي، وقد كانت أعماله من بين أولى المحاولات الرامية إلى استقلالية علم النفس عن الفلسفة.

أبو حامد الغزالي وعلم النفس المدرسي

وإذا كان علم النفس المدرسي الحديث قد جعل من العلاقة بين المعلم والمتعلم من أهم موضوعاته، فإن "حجة الإسلام النابغة في علم النفس التربوي أبو حامد الغزالي (1058 - 1111 م)، الذي بدأ التدريس بالمدرسة النظامية، أعلى المدارس شأنا ببغداد في الرابعة والثلاثين من العمر، ومؤلفاته تربو على الخمسين، ومعظمها في موضوعات علم النفس في مجال التعليم والاجتماع والنفس وأحوالها والتفكير ومراتبه"**(موسى، 2002 ، ص 247)**، قد اهتم كثيرا بطبيعة العلاقة التعليمية بين مكونات الموقف التعليمي، والتي تُعرف اليوم بالمثلث الديداكتيكي، حيث يرى أنه "من دقائق صناعة التدريس أن لا يصرح المعلم بتوبيخ التلميذ، فإن التصريح يلغي الهيبة عند التلميذ ويورثه الجرأة على معلمه، ويجب على المعلم أن يقتصر فيما يعلمه على قدر فهم التلميذ، فلا يلقنه فينفره، ولا يربكه بكثرة المعلومات فتلتبس عليه الآمور، وشعاره ينبغي أن يكون: كل تلميذ بمعيار عقله، وزن له بميزان فهمه حتى ينتفع بك وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار، والتلميذ بحكم سنه قاصر ينبغي أن يلقي المدرس إليه بالجلي اللائق"**(موسى، 2002 ، ص 248)**

وإذا كان موضوع سيكولوجية الفروق الفردية، من أهم المواضيع التي يهتم بها المشتغلون بعلم النفس المدرسي، سواء على مستوى التنظير أو على مستوى الممارسة، فإن المربي "أبو حامد الغزالي يُعد من أقدم المشتغلين بعلم النفس الفروق الفردية وبالذكاء، ويقول إن الناس متفاوتة في العقل، ومدركاتها العقلية تتنامى مع مراحل النمو، ويؤكد التفاوت في الناحية المعرفية تبعا للتفاوت في التمييز والإدراك والفهم، والتفاوت بالتالي في التحصيل" **(موسى، 2002 ، ص 249)**

جهود الفرنسي Athard

كما أن مساهمات العديد من العلماء والمربين الفرنسيين في القرن السابع عشر والثامن عشر ترتبط بصورة مباشرة بعلم النفس المدرس ي الحديث، فقد عمل Athard على الطفل المتخلف، والذي يعرف ب **أفرون** الشرس الذي عثر عليه في غابة بفرنسا، وكان يعيش حتى بلغ الثانية عشر مع الحيوانات محروما من المثيرات الاجتماعية والإنسانية، وقد وضع Athard برنامجا يهدف إلى تنمية الناحية الاجتماعية عند هذا الطفل وتدريبه عقليا وترويضه سلوكيا بصفة عامة، كما نجح في تعليمه الكلام وقراءة بعض الكلمات وضبط بعض الدوافع، إلا أنه فشل في تدريبه على ضبط النفس والتوافق الاجتماعي والانفعالي. **(سليمان، 2011 ،ص 30)**

بداية ظهور علم النفس المدرسي

ويعد Witmer Lightner من المعالجين النفسيين الآوائل في أمريكا، وكان قد تتلمذ على يد كل من كاتيل وفونت، وبعد حصوله على درجة الدكتوراه قام بإدارة المختبر النفساني بادئا بالعمل مع الأطفال الذين يعانون من صعوبات في التعلم، ويعد مختبر Witmer أول عيادة متخصصة لإرشاد الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية، علما أن Galton كان أول من أنشأ عيادة نفسية في لندن، قبل عشر سنوات من تأسيس Witmer لعيادته سنة 1886 ، وقد كانت عيادة Witmer مركزا لأبحاثه التي ارتبطت بموضوع التعلم، وكان الهدف الرئيس ي من إنشاء العيادة، تدريب الأخصائيين النفسيين على مساعدة المربين في معالجة مشكلات التعلم لدى الأطفال، ثم عزز التدريب بالعمل المباشر مع الأطفال الذين يترددون على العيادة، وقد حقق من خلال هذا العمل هدفين اثنين هما حصول الأخصائيين على التدريب اللازم، وحصول الأطفال والآسر على الخدمات التي يحتاجونها. **(كامل، بدون سنة،ص ص 6 - 7)**

وفي عام 1907 أنشأ Witmer أول جريدة تبحث في العيادة النفسية وموضوع العلاج النفسي، وأطلق عليها اسم "جريدة الدراسة والعلاج من الإعاقة العقلية والانحراف "، واستمرت هذه الجريدة في إرشاد الأفراد الذين يترددون على العيادة بصورة غير طبيعية حتى عام 1935 ، حيث ظهرت "رابطة علم النفس الأمريكي " التي أصدرت جريدة أسمتها "الاستشارة وعلم النفس العيادي، وإضافة إلى ذلك ، فإن Witmer ونظرا لمساهمته المهمة، وإنجازاته في هذا العلم التي لازالت مستمرة يعد الأب المؤسس لعلم النفس المدرسي، وما يزال القسم السادس عشر من رابطة علم النفس الأمريكية المتعلق بعلم النفس المدرسي يقدم جائزة Witmer في كل عام للمتفوقين في مجال عل النفس المدرس ي**". (كامل، بدون سنة ،ص 7)**

علم النفس المدرسي يفرض وجوده

ظهر علم النفس المدرسي وتشكلت هويته نتيجة بعض العوامل التي زادت في طلب الخدمات التي يقدمها هذا العلم، ومنها مدارس ومحاكم الأحداث، كما زاد الطلب على استخدام الاختبارات النفسية، وكان القسم السادس عشر من جمعية علم النفس الأمريكية مخصصا لعلم النفس المدرسي وقد عُين هاريبيك رئيسا لهذا القسم ما بين عام 1946 – 1947 وفي العام نفسه تم تأسيس جمعية الصحة النفسية . **(كامل، بد ون سنة، ص 9)** وقد كان أول مؤتمر عقد للأخصائيين الإكلينيكيين والنفسيين في كولورادو عام 1949 ، وقد حُددت في هذا المؤتمر الخطوط والأسس الرئيسية لبرنامج الأربع سنوات لدراسة الدكتوراه في علم النفس المدرسي، إضافة إلى التدريب والعمل الميداني اللازمين لذلك.

وفي عام 1953 عقد المؤتمر الثاني، في مدينة نيويورك، وكان من أهم الموضوعات التي نوقشت في هذا المؤتمر مؤهلات الأخصائيين النفسيين وتدريبهم ، كما حدد المؤتمر نوع التأهيل والتدريب اللازمين للأخصائي في علم النفس المدرسي، على أن يشتمل البرنامج على مواضيع في علم النفس وأخرى ثقافية، إضافة إلى التدريب الميداني، واتفق المشاركون في المؤتمر على ضرورة إيجاد المختصين على مستوى الدكتوراه، إضافة إلى الأفراد المهنيين الذين يتمتعون بمعرفة وتدريب بسيطين، كما تم تحديد التسمية لحملة الدكتوراه ب " الأخصائي النفسي " ولم توضع التسمية لذوي التدريب البسيط، وقد خصص للفئة الثانية سنتان دراسيتان في مجال علم النفس، يتبعها نصف عام من التدريب وصدرت مجموعة من التوصيات، تحددت بها الأدوار الرئيسية للمختص في علم النفس المدرسي.

ظهور الرابطة الأمريكية لعلم النفس المدرسي

ازداد عدد البرامج التدريبية والأخصائيين النفسيين العاملين في المدارس عام 1960، وكان معظمهم لا يحمل شهادة الدكتوراه فلم يتمكنوا من الالتحاق برابطة علم النفس الأمريكي ((APA، ولذلك رأى كثير من العاملين في مجال علم النفس المدرسي، ممن يحملون درجة أقل من الدكتوراه، أن رابطة علم النفس الأمريكي عاجزة عن تلبية حاجاتهم، فعملوا على إنشاء رابطة جديدة تمثلهم، وقد تم ذلك عام 1669 حيث تم تشكيل الرابطة الوطنية لعلم النفس المدرسي (National Association of School Psychology - NASP). وقد حددت هذه الرابطة أهدافا أربعة ، هي :

- العمل على تشجيع اهتمامات الأخصائيين في علم النفس المدرسي وتنميتها وتطويرها
- تحسين المعايير والأسس المهنية وتطويرها .
- تأمين الشروط والظروف المناسبة لرفع كفاية العمل وممارسته.
- خدمة الصحة النفسية والعقلية والاهتمامات التربوية لكل من الأطفال والشباب .

واجهة الموقع الإلكتروني للرابطة الأمريكية لعلم النفس المدرسي

بدأت الرابطة الوطنية لعلم النفس المدرسي بعضوية بلغ عدد مشتركيها (4000) عضو في عام 1969 وارتفع العدد إلى (8000) عضو عام 1983، ثم غدت هذه المنظمة أكثر تميزا عن غيرها من المنظمات المهنية التخصصية الأخرى، وقد تبلورت في مؤتمراتها السنوية مجموعة القواعد والمبادئ الأخلاقية اللازمة للأخصائي النفسي، وطورت بعض الأسس والمعايير للتدريب والخدمات المقدمة من قبل الأخصائي كذلك، ومنذ ذلك الحين عقدت الكثير من المؤتمرات لرفع كفاءة الأخصائيين النفسيين وتنظيم الخدمات النفسية في مجال التربية الخاصة والمدارس المختلفة.

وكان **دونال فرجسون** أول محرر لمجلة علم النفس المدرسي التي ظهرت عام 1963، تم التغلب على مشكلات النشر التي واجهت المجلة في بدايتها، واستفاد الأخصائيون النفسيون والمدرسون من صفحاتها، حتى أن مستويات ومعايير النشر الآن تفوق مستويات النشر في مجلات علم النفس الأخرى، و أصدر وليام هانت العدد الأول من مجلة علم النفس المدرسي عام 1964، وخصصت هذه المجلة من بدايتها للآراء والأبحاث وممارسة علم النفس في المدارس، وفي سنة 1972 بدأت هيئة NASP بالنشر الربع السنوي لمجلة علم النفس المدرسي، وتوزيعها على الأعضاء كجزء من الفوائد التي يحصلون عليها من عضويتهم، وقد كان التأكيد بصورة كبيرة على أنشطة التقويم التربوي والنفسي للأطفال الذين يعانون من صعوبات التعلم أو مشكلات التكيف في المدارس.